الجزويتية والطرائق الاسلامية

(تابع لما قبل)

واما النظام الداخلي فان قوانين الرهبانيات على اختلافها مؤسسةٌ على قواعد الاخوّة بين جميع الافراد فليس هناك مزيةٌ ولا تفاوت ولكن الشريعة للجميع واحدة . فكل مبتدئٍ وفّى شروط الابتدآء المرسومة في القوانين كان مقبولاً في النذر وكل ناذرٍ بعد ان يأتي عليهِ عددٌ محدود من السنين يكون عضواً في مجمع الرهبانية ولهُ اذا كان من المنتخبين ان ينتخب رؤسآءهُ واذا كان من المنتخبين ان يُختار لسياسة رهبانيتهِ وليس بعد ذلك شيءٌ آخر

اما في الطرائق الاسلامية فالامر على الخلاف فان للابتدآء عندهم درجات متعددة وكذا ما يليه من رُتَب الوظائف[1] . وليس لهم قانونٌ يجرون عليهِ بالسوآء فاذا طلب طالبٌ الدخول في طرائقهم مثلاً فمرجع امرهِ الى ما يرى شيوخ الطريقة وهم الذين يعيّنون لهُ درجة الامتحان

(١) ذكر ناپوليون ناي في كتابهِ المعنون بالجمعيات السرية الاسلامية ان في طرائقهم سبع درجات للمؤمن حتى يصل الى الكمال فهو اولاً (طالب تم) تلميذ ثم مريد ثم فقير ثم صوفي ثم سالك ثم مجذوب . وهناك درجتان اخريان اعلى من الدرجات المذكورة وهما درجة المحمدي ودرجة التوحيدي

ثم ان الترقي في الطرائق يكون تدريجيًّا فيكون الطالب مريدًا وهي درجة العدد الاكثر ثم مريد الخير ثم مريد خير الخيور . وهذه الدرجة الاخيرة لا يصل اليها الا عددٌ يسير ممن اوتوا موهبة التصرف ومن خصائصها ان تميط الحجاب عن اسرار الطبيعة وتصرفها عن وجهتها وهو طور اصحاب الكرامات

فيفرضونها على ما يبدو لهم لا يرجعون في ذلك الى قاعدة مقررة وليس عليهم فيه اعتراض ولا سؤال . ولذلك فهم غير متكافئين في المنزلة ولا يمكن ان تكون بينهم اخوّةٌ صحيحة على ما هو المفهوم من حدّها

وما ذُكر من التفاوت في درجات الابتداء يوجد بعينه عند الجزويت وهو ما صرّح البابوات غير مرة بانهُ مناف للشرائع القانونية ولروح الكنيسة وبالتالي فهو لا يكون الا من اصل اجنبيّ . فالمبتدئ عندهم بعد سنتين من ابتدائهِ يستخدمونهُ في وظيفة التدريس وبعد ان يستمرّ فيها مدة اربع سنوات يجعلونهُ معاوناً زمنيًّا (والمراد بذلك ان يتعاطى المهن الحقيرة في الدير من نحو الاهتمام بملابس الرهبان والقيام على مهمات المطبخ والمائدة ومشترى بعض حوائج الدير وما في هذه المنزلة) ثم يرقى الى وظيفة معاون روحي (وهو الذي يتولى امور الاخويات والوعظ والتعليم الديني وما شاكل ذلك) . وبعد ذلك يُقبل في اداء النذور الثلاثة او يُرفَع درجةً اخرى فينذر النذور الاربعة . وذلك ان الجزويتي خلا النذور الثلاثة المفروضة في سائر الرهبانيات وهي التبتل والطاعة والفقر عليهِ نذرٌ رابع وهو ان يَعِد وعداً خصوصيًّا ان يقف حياتهُ كلها على الجمعية [1] ويكتب هذا الوعد في صكٍّ على حدَته . والرئيس العام عند الجزويت بمنزلة الشيخ عند اصحاب الطرائق فهو الذي يحكم في ترقية كل واحدٍ من رهابينهِ الى الدرجة التي يستحقها .

(١) كذا في كلام الكاتب ولعلّ الاصحّ وهو ما قرأناهُ في بعض كتب المحققين « ان يعد بان يكون مدة حياتهِ كلها رهيناً لاوامر البابا » ومعنى هذا ان يجعل طاعة البابا مقدمةً على طاعة رئيسهِ وفي هذا النذر سرٌّ لا يخفى على من تأملهُ

هذا اللفظ ان القبآء غير القفطان والصحيح ان كليهما شيء واحد انما القفطان كلمة تركية واصلهُ « قفتان » بالتآء وبهِ فسّر عاصم « القبآء » في ترجمة القاموس

ومن ذلك قول الآخر « قباب نواقيس غرناطة » يعني بالنواقيس الاجراس وانما النواقيس جمع ناقوس وهو كما فسرهُ صاحب القاموس خشبةٌ كبيرة طويلة تُقرع بخشبة قصيرة يقال لها الوبيل ايذاناً بوقت الصلاة . وكل احد يعلم ان هذا النوع لا وجود لهُ في كنائس غرناطة بل هو مما لا يُعرف لهُ وجود في جميع اوربا غير ان الكاتب لم يكتفِ بذلك حتى جعل محل النواقيس في قباب الكنائس وهو اغرب

وقول الآخر « رأتهم يقطعون من الضعف قوة » وكانهُ اراد بذلك القول المشهور «فلان يظهر من الضعف قوة » فعبّر بلفظ «القطع» وليُنظَر بعد ذلك كيف يكون تأويل المعنى

وقول الآخر « فما راعها الا والحبّ جار مجرى الدم في مفاصلها » وهو من الكلام الذي اراد قائلهُ ان يقلد بهِ الفصحآء فاخطأ المرمى ونقل العبارة من العربية الى الكردية

وفي طريقهِ قول الآخر « اصبحت وتكاد تكون عظماً بالياً ». والله اعلم كيف يفسّر هذا القول

واغرب منهُ قول الآخر « اسال لهى الفصاحة على لهواتها » قلنا اللهى واللهوات يجوز ان يكون كلاهما بفتح اللام فيكونان جمع لَهاة وهي اللحمة المتدلية في اقصى الحلق او بضمها فيكونان جمع لُهوة وهي العطية وليتأمل

المطالع ماذا يمكنهُ ان يستخرج من هذا التركيب . وما نظن الا ان الكاتب احب ان ينسج على مثال قول القائل

لئن جاد شعر ابن الحسين فانما تجيد العطـايا واللُهَى تفتح اللهَا

اللُهى الاولى بالضم بمعنى العطايا والثانية بالفتح جمع لهَاة الفم واراد بها الافواه على تسمية الكل باسم الجزء فجآء بهذا اللغو الذي لا يفهمهُ انسٌ ولا جان

وآية الآيات في هذا الباب قول القائل

على مثلهِ القى الفخار « رحالهُ » ومَن غير نصر الله اولى بذا الفخرِ

فلم يزد على ان جعل ممدوحهُ بعيراً تُلقَى عليهِ الرحال ثم منّ عليهِ بان ذلك فخرٌ لا يحقّ لغيرهِ « من الرجال » ..... (ستأتي البقية)

حديقة السوسن

(تابع لما قبل)

— ٦ —

ومن اعجب العجب ان المشترعين والمصلحين القدمآء مع كونهم افراداً وُجدوا قبل اوانهم وهم اكثر حكمةَ واسمى ادراكاً من العامةّ الضالة وقد ادّعى اكثرهم انهم مؤيدون بالوحي معزّزون بالالهام مسيّرون بالاوامر والمنـاهي العلوية قد جاروا مشارب رجال اعصارهم فجارُوا على المرأة ولم يعدلوا وسلكوا بما سنوا من الشرائع ووضعوا من النواميس مسلك من يريد الأَثرة للرجل في كل طورٍ من اطوار الحياة كانهم يريدون ان